فريق التفريغ بموقع الطريق إلى الله
يـــقـــدم

من سلسلة "بصائر قرآنية"
تفسير سورة النازعات (1)
"باللهجة المصرية"

لفضيلة الشيخ: أحمد عبد المنعم

رابط المادة: http://way2allah.com/khotab-item-101064.htm

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بسم الله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، بإذن الله عز وجل نستكمل تفسير جزء عم، كنا بفضل الله عز وجل ومن كرمه سبحانه وتعالى خلصنا سورة النبأ، إن شاء الله نبدأ سورة النازعات.

تركيز الجزء الثلاثين على الدار الآخرة

وزي ما قلنا بنأكد دايمًا إنّ الجزء التلاتين مليء بالمعاني العظيمة المتنوعة، لكن بيركز أساسًا على الدار الآخرة، وبيركز أساسًا على لقاء الله عز وجل، وهنجد وإحنا ماشيين مع بعض كده في الجزء التلاتين إنّ دايمًا التركيز على انقسام الناس لفريقين "وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ" النازعات:40 "فَأَمَّا مَنْ طَغَى" النازعات:37 تجد "فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ" الزلزلة:8،7 تجد إن المسألة "إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ" الانفطار:14،13 تجد إن الموضوع دايمًا متكرر طول الجزء التلاتين، أيضًا منناساش الآيات القصيرة السريعة المتتالية اللي بتنفع للناس الغافلين إن هي تفوقهم، هزات عنيفة متتالية متزلزلة تفوق الناس، نبدأ مع بعض ونشوف سورة النازعات.

أول مشهد في السورة: صوت شخص يحتضر و تُنزع روحه

عايزين دايمًا نتخيل وإحنا بنفتح السورة بنسمع إيه أو بنلاقي إيه؟ زي ما ربنا يكرمنا كده إن شاء الله لو وصلنا لسورة العاديات أول لما تفتح سورة العاديات تسمع مشهد صوتي صوت الخيل وهي بتجري، أول ما فتحنا سورة النبأ سمعنا مشهد ناس قاعدين مع بعض عمالين يهمسوا ويتكلموا، قربنا منهم لقيناهم بيتساءلوا، قربنا أكتر لقيناهم بيتساءلوا عن يوم القيامة، أول لما بنفتح بقى مشهد سورة النازعات ده مشهد عجيب جديد بقى أول مشهد مشهد واحد بيموت، تخيل إنت بتفتح السورة سمعت صوت حشرجة نَفَس واحد بيموت، والعجيب إن البداية بداية صوت واحد بيموت لكن موتة صعبة جدًا جدًا جدًا، روحه بتنزع منه.

الله سبحانه يقسم بملائكته في بداية السورة

أول مشهد في السورة.. بسم الله الرحمن الرحيم "وَالنَّازِعَاتِ غَرْقاً" النازعات:1 قسم من الله عز وجل وهو لا يحتاج إلى أن يقسم سبحانه وتعالى ولا يقسم إلا بعظيم، أول مشهد الله عز وجل يُقسم بأصناف من الملائكة النازعات، الناشطات، السابحات، السابقات، المدبرات، خمس أقسام متتاليات من الملائكة، منها المعطوف ومنها القسم سواء

فالسابقات أو فالمدبرات بحرف الفاء، هنتكلم على الخلاف في أنواع الملايكة التي ذكرت، الشاهد إن الراجح في الغالب إن دي ملايكة وإن المفسرين اختلفوا إيه بالظبط النازعات هل هي الخيل ولا هي القوس ولا هما المؤمنين ولا الغزاة؟ أيًّا كان إنما الأشْهَر إن دي الملايكة.

مشهد مرعب لنزع الروح.. والقدرة المطلقة للملك سبحانه وتعالى

الملائكة تنزع روح الكافر، أول مشهد في السورة مشهد ملايكة بتنزع نفس الكافر بتنزعه بقمة الشدة "وَالنَّازِعَاتِ غَرْقاً" وهنفسر معنى الكلمة بتاعة "غَرْقًا" دلوقتي، يبقى إذن مشهد مرعب لأول لحظة لما مشهد سورة النبأ كانوا لسه بيتكلموا ولسه بيتساءلوا والآيات بتاعة سورة النبأ هزتهم وكلمتهم وفكرتهم بالدار الآخرة ومفيش فايدة، المشهد بقى بتاع سورة النازعات مشهد يخوف أكتر؛ عشان يلينوا إلى كلام الله عز وجل، أقسام من الملائكة مختلفة، جنود الله عز وجل منتشرة في الكون علشان نفتكر بكلمة جنود دي لما تجيلنا في السورة "فَحَشَرَ فَنَادَىٰ" النازعات:23 لما فرعون حَبّ يبين سلطته جمع الجنود بتوعه، ربنا سبحانه وتعالى بيبين في أول لحظة قد إيه الملايكة بتطيع أمر الله عز وجل، قد إيه مشهد القدرة المطلقة، سبحانه وتعالى.

بسبب مقاومته وتمسكه الشديد في الدنيا تُنْزَع روحه بقوة

زي ما هنشوف برده في آيات خلق السماوات والأرض في السورة تحديدًا التركيز على مشهد معين من المشاهد، نفتح السورة مشهد الملايكة أول مشهد "وَالنَّازِعَاتِ غَرْقاً" النزع يستعمل لما تبقى حاجة ماسكة وبتتشال بصعوبة، في مقاومة في الشد، يعني لما نقول رفع أنا رفعت القلم غير نزعت القلم، نزعت القلم يبقى فيه مقاومة وأنا بشد القلم، لذلك لما ربنا سبحانه وتعالى بيقول: "تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء" قال "وَتَنزِعُ الْمُلْكَ" آل عمران:26 دايمًا اللي بيتاخد منه الملك دايمًا مش عايز يسيبه، لآخر لحظة وهو ماسك فيه..

فالله عز وجل بقدرته المطلقة سبحانه وتعالى ينزع منه الملك، كذلك الكافر والعياذ بالله من شدة تمسكه بالدنيا ومش قادر يتخيل إنه هيموت، زي ما ربنا سبحانه وتعالى بيقول في سورة القيامة عن الكافر "وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ" القيامة:28 كان كل مشكلته في الدنيا إنه هيفارق الدنيا، كل مشكلته في الموت مش إنه هيروح فين أو الدار الآخرة فيها إيه لأ لأ هو خايف من فراق النعيم "وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ" سبأ:54 قيل دي لحظة الموت بيمد إيده كده علشان ياخد الدنيا وبيجي ملك الموت يشيل كل اللي بيحبه منه ويموته.

"والنَّازِعَاتِ" يبقى روح الكافر، ونفس الكافر والفاجر والعياذ بالله، ماسكة في الدنيا، متغلغلة في كل أطراف الجسد، دي النفس بتاعته، فالملايكة تشد النفس من كل طرف حتى قالوا من تحت الضوافر، النفس بتتشعب وبتهرب بتروح في كل عضو، وفي كل عصب، وفي كل مكان في الجسد، بتتفرق تمامًا، فالملك من قوته اللي ربنا أعطاها للمَلك يشد نفس الكافر والكافر يقاوم، هو ده النزع..

في حاجة بقى اسمها "غَرْقًا" غرقا الإغراق، يعني بلوغ الغاية القصوى، لما واحد يقولك إيه.. ده استغرق في العمل، استغرق في العمل يعني جاب آخره في العمل، فالملايكة بتجيب بكل قوتها بتشد قصاد التنازع بتاع الكافر، لكن بقدرة الله عز وجل الملايكة تطلع روح الكافر، مشهد مؤلم في أول السورة.

الفرق بين خروج روح المؤمن والكافر:

1- تمسك الكافر بالدنيا

مشهد النزع ده خد بالك عايزين ناخد بالنا النهاردة في السورة مشهد النفس هنتكلم النهاردة عن مسألة النفس في أكتر من موضع في السورة، أول مشهد مشهد النفس التي لم تُرَوَّض، النفس اللي مش عايزة تخرج، اللي عايزة تمارس كل أهوائها وشهواتها، مش عايزة تطلع من الدنيا أبدًا، التي تشعر إنّ الآخرة سجن، وتشعر إن الدنيا جنة، دي النفس اللي هتشعر بهذا المعنى في الأول "وَالنَّازِعَاتِ غَرْقاً".

2- اشتياق المؤمن للآخرة

المشهد التاني مشهد عجيب بقى عكس المشهد الأولاني تمامًا "وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطاً" النازعات:2 يعني إيه الناشطات؟ حد يقولك ده واحد نشيط، نشيط يعني خفيف وبيتحرك بسرعة، الأنشوطة دي الرابطة اللي تتفك بحاجة بسيطة جدًّا، لما تبقى رابطة عارفين زي الفيونكة كده تشدها تتفك، هي دي الأنشوطة، لما كان واحد يبقى تعبان ويخف يقولك كأنما أُنْشِطَ من عقال، يعني كأنه كان مربوط وقام..

يبقى الناشطات بتُسْتَعْمَل لما يبقى واحد مربوط، مثلًا الحيوان لما يبقى يتربط والحيوان حاسس إن هو عايز يتحرك في المرعى، وعايز ينطلق في المزرعة، فييجي واحد يفكه يقولوا الحيوان ده أُنشط من عقال، كان مسجون واتفك، أو تيجي لواحد تعبان وخَفّ، يبقى المؤمن بالنسباله زي ما يكون كان محنوق، كان مسجون وانطلق، ده بالموت، لذلك حديث النبي صلى الله عليه وسلم: "الدنيا سجن المؤمن" رواه مسلم.

يبقى "النَّاشِطَاتِ" تديني مَعْنَيين، معنى إن المؤمن كان حاسس إنه مسجون في الدنيا، وإنه كان تعبان في الدنيا، كأنما أنشط من عقال، كأنه كان تعبان وخف، يبقى مشهد السجن اللي في الدنيا اللي حسه ومشهد الخنقة هينطلق إلى نعيم الآخرة، يقولك البئر لما الدلو ينشط من البئر إن المية اللي في البئر شوية مية صغيرين بدلو واحد يطلع كل اللي فيه، معاني النشط في اللغة جميلة جدًّا..

لكن الشاهد إن خروج روح المؤمن كخروج القطرة من فِيّ السقاء، يعني إيه؟ يعني لما تيجي تقلب إزازة المية كده عايز تطلع المية اللي فيها أول لما تقلب المية بتطلع مش بتقعد تقولها اطلعي وتضرب في المية؟ أبدًا، المية أول لما بتقلب بتطلع، كذلك روح المؤمن أول لما الملك يقولها "اخرجي إلى ربك" تجد نفس المؤمن خرجت لأن هي نفس مهذبة، لأن هي نفس اتربت، لأن هي نفس مُرَوَّضَة، زي ما هييجي معانا في السورة "وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى" النازعات:40.

"وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطاً" الملايكة بتطلع روح المؤمن لكن بكل سهولة وبكل يسر، لأن المؤمن كان مرتبط بالآخرة، لأن المؤمن كان حاسس إن في الدنيا سجن، لأن المؤمن كان يتمنى اللحظة اللي هيلقى فيها الله عز وجل، لأن المؤمن كان بيحلم باللحظة اللي هيرى فيها وجه الله عز وجل، فعايش تعبان في الدنيا، حتى لو في نعيم، حتى لو معاه مال حتى لو معاه عربيات، لكن هو حاسس إنُّه منتظر شيء عظيم في الآخرة، منتظر صحبة النبي صلى الله عليه وسلم، فدائمًا كل ما يتذكر أن رؤية وجه الله، كل ما يتذكر نعيم الجنة يحس إنه مسجون، ويحس إنه تعبان، فييجى النشط دا يخلي التعبان يخف، والمحبوس ينطلق، هي دي "وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطاً".

من أكثر المشاهد المؤثرة.. مشهد الموت

المشهد الثالث: الملائكة بعد ما خرجت بروح المؤمن تسبح في السماء، تطلع بروح المؤمن إلى الله عز وجل فتسبح، أو السابحات دا نوع من الملائكة بقى الملائكة التي تسبح تنفذ أمر الله، مشهد السورة بدأ بمشهد الموت، هنلاحظ في سورة النبأ اتكلمنا عن الجحيم، وتكلمنا عن الجنة الدار الآخرة، الموت أكثر تأثيرًا في الإنسان من الدار الآخرة لإنّ دا اللي بيشوفه، فبدأت سورة النازعات الخطاب يبقى أعلى، الخطاب يبقى أشد، الكلام عن الموت، لكن الكلام عن الموت في لحظة خروج الروح، لحظة خروج النفس في المرحلة دي..

أنواع الملائكة في السورة

هنجد إنّ اتكلمت عن خمسة أنواع من الملائكة: النازعات، الناشطات، السابحات، السابقات، المدبرات في خلاف ما بين المفسرين طويل جدًّا إحنا مش عايزين ندخل فيه، الشاهد في ناس قالت الاثنين الأولنيين دول الموت، النزع والنشط دي الملائكة اللي بتنزع أرواح الكفار، ودي الملائكة اللي بتخرج أرواح المؤمنين بكل سهولة ويسر.

وقالوا الثلاثة دول أنواع الملائكة المختلفة التي تنفذ أمر الله عز وجل في أي أمر، وإنّ الملائكة في أي أمر من ربنا بتمر بثلاث مراحل: تسبح، تنطلق، ثم تتسابق من ينفذ الأمر، ثم تدبر الأمر اللي ربنا طلبه منها، يعني الله عز وجل يأمر الملائكة بأمر فتسبح الملائكة تنطلق، ثم تتسابق ثم تدبر هذا الأمر..

فعلشان كده جت التلاتة دول معطوفين على بعض بالفاء، دول بالواو، والنازعات والناشطات، لكن من أول دي ربنا قال والسابحات فالسابقات فالمدبرات، فقالوا الثلاثة دول حاجة ودول حاجة، يبقي إذن في معنى إن دي الملايكة بتنزع أرواح الكفار "وَالنَّازِعَاتِ غَرْقاً" الناشطات الملايكة بتخرج أرواح المؤمنين بسهولة ويسر.

رقم ثلاثة السابحات، الملائكة الله عز وجل أمرها بأمر أيًّا كان الأمر علشان كده ربنا قال "فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا" النازعات:5 نكرة أي أمر، أمر المطر، أمر الإهلاك، أمر إنقاذ مظلوم، أمر إهلاك ظالم، أي أمر يخفض ويرفع سبحانه وتعالى، فالملائكه تنفذ أمر الله عز وجل "لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ" التحريم:6 الأمر دا طريقة تنفيذه إيه؟ شوف ربنا سبحانه وتعالى بيقولك إزاي الملايكة..

أنتم يا عصاة يالّي مش عايزين تطيعوا، يالّي رافضين تخضعوا لله، يالّي رافضين تخشعوا لله، ربنا بيقولك في مخلوقات "وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ" الأنبياء:19 يعني مش بس مبيتعبش ولا بيطلب التعب ولا يستحسرون "يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ" الأنبياء:20 سورة فصلت "يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ" فصلت:38، لا يمل ولا يتعب ولا يفتر ولا يستحسر عبادات الملك، فالملايكة السبح ثم السبق ثم التنفيذ لذلك المؤمن لازم كده لما ينطلب منه طلب يسبح ثم يتسابق مع غيره من المؤمنين ثم ينفذ الأمر بتدبير مش أي تنفيذ وخلاص "فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا" النازعات:5.

المراحل التي يمر بها المؤمن في عباداته

السبح هو السير بدون موانع وعرقلة، السابح في الماء دا اللي بيمشي في المايه بيحرك إديه ورجليه بس من غير موانع، يبقى في سلاسة في الانطلاق، مرحلة السبح لما يستطيع إنه يبقى مُتَمَكِّن فيها تيجي مرحلة السبق، يستطيع أن يسابق غيره، تيجي مرحلة تدبير الأمر، يبقى إذن لو استنبطنا من الآيات دي ماذا يفعل المؤمن حينما يؤمر بأمر الله عز وجل؟ بعض المفسرين الكلام دا فيه بعض الإشارات كده في الآيات بعيدًا عن التفسير اللي إحنا ذكرناه قالوا إن المؤمن بيمر بمراحل..

المرحلة الأولى: إنُّه بينازع نفسه في تطبيق الأمر دي أول النازعات، المرحلة التانية: طالما نازع نفسه يبدأ ينشط، المرحلة الثالثة: إنُّه يبدأ يسبح في تنفيذ أمر الله، المرحلة الرابعة: إنُّه يبدأ يتسابق مع غيره من المؤمنين، المرحلة الخامسة: تنفيذ أمر الله عز وجل، ثم يبحث عن أمر آخر يمر بيه بالمراحل دي.

أو قالوا لاء "وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطاً" الملايكة تاخد أرواح المؤمنين وتسبح بها في السماء، وتتسابق الملائكة بأرواح المؤمنين على قَدْر أعمالهم، الله أكبر، يبقى مشهد صعود الملائكة بأرواح المؤمنين، السَّبْق في الوصول إلى الله على قَدْر الأعمال "وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ" الواقعة:10،11، وبعد أمَّا يعملوا كده يسبحوا ويسبقوا، يدبرون أمر آخر، يشوفوا واحد تاني، هيروحوا يقبضوا روحه، ويا ترى هيطلع من بتاع النازعات ولا من بتاع الناشطات؟ نسأل الله جميعًا أن نكون من أرواح المؤمنين التي تخرج بسهولة ويُسْر ونسأل الله عز وجل حُسْن الخاتمة.

قدرة الله الْمُطْلَقَة على الكون

يبقى الشاهد مشهد قدرة الله الْمُطْلَقَة على الكون، جنود ربنا سبحانه وتعالى "وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ" الفتح:7 منتشرين في كل مكان.. ملايكة بتنزع أرواح الكفار، ملايكة بتُخْرِج أرواح المؤمنين بسهولة، ملايكة بتسبح في السماء، ملايكة بتتسابق، ملايكة تدبر الأمر، مشهد هيمنة على الكون كله، مشهد طاعة مُطْلَقَة، مشهد خضوع مُطْلَق من الملائكة، تفتح السورة تُفَاجَأ بمشهد دا قصاده مشهد فرعون اللئيم المعاند المتكبر اللي بيقول "أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى" النازعات:24 وفرحان بشوية جنود جامعهم حواليه "فَحَشَرَ فَنَادَى" النازعات:23 قعد يجمع الجنود حواليه علشان يقول لهم "أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى".

يخاصم الإنسان ربه بعدما خلقه من نطفة

مشهد هَزَلي لما تيجي تشوف المشهد الأول قصاد المشهد دا، شوف قد إيه الإنسان حقير، قد إيه الإنسان ضعيف، فعلًا يعني إنه يُخْلَق من نطفة، فإذا هو "إذا" دي الفجائية بعد أما كان نطفة "فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ" يس:77 بيخاصم ربنا سبحانه وتعالى، ويباين في الخصومة، ويحاول إنه يبقى يعني يتفلسف في الخصومة والعياذ بالله، دا المشهد الأول اللي في السورة.

يومٌ لا يجب أن ننساه أبدًا

بعد كده فجأة بعد المشهد دا انتهاء مشهد الموت وتحرك الملائكة "يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ" النازعات:6 إيه اللي هيحصل؟ "يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ" العلماء وقفوا عند كلمة "يَوْمَ" قالوا هو إيه اللي "يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ" فقالوا دا تبع بعد الموت، والله عز وجل أقسم بالملائكة والنازعات والناشطات والسابحات لَتُبْعَثُنَّ في يوم ترجف فيه الراجفة، أو يوم ترجف الراجفة، اذكر يا محمد للناس هذا اليوم، يعني يوم ترجف الراجفة، اليوم دا مينفعش يغيب عن حياتنا، في واحد ديمًا يقولك أنا في يوم مبنسهوش أبدًا سواء حلو أو وحش، يوم ما رزق بولد بعد فترة طويلة من العُقْم مثلًا، يوم ما نجح بعد فترة طويلة من التعب، يوم ما رُزِق بمال بعد فترة طويلة من الفقر..

مثلًا كعب ابن مالك لما تخلف عن غزوة تبوك، والنبي صلى الله عليه وسلم قالُّه: "أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك" صحيح البخاري ومسلم، خير يوم كان يوم توبة كعب بن مالك، نزول القرآن فيه، اليوم دا مبيتنساش عند كعب، فربنا بيقول في يوم مينفعش تنسوه، إيه اليوم دا يارب؟ "يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ * تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ" النازعات:6،7.

ما معنى الراجفة والرادفة؟

هنلاحظ شيء عجيب أوى في سورة النازعات الإبهام فيها، العلماء مختلفين إيه النازعات، وإيه الناشطات، وإيه السابحات، وإيه الراجفة، وإيه هي الرادفة، والطامة الكبرى، أسماء فيها نوع من الإبهام، الإبهام دا يخوف يعني جت بالأوصاف، حاجة هتخلي قلبك يرجف هي إيه؟ صيحة عظيمة؟ النفخة الأولى؟ العلماء اختلفوا هل الراجفة النفخة الأولى، ولا الراجفة دي الأرض هتتحرك من تحتي؟ أيًّا كان المشهد مرعب، في حاجة هترجف سواء الأرض هتهتز أو نفخة صيحة هتخلي الناس كلها تموت.

"يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ * تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ" اللي قال إنّ الراجفة الأرض، قال إنّ الرادفة السماء، واللي قال إنّ الراجفة النفخة الأولى، قال إنّ الرادفة النفخة الثانية، عايزين نبقى فاهمين معاني الكلمات، اللي قال –و دا الأشهر– إنّ الراجفة هي النفخة الأولى، و ده أشهر وبعضهم رواه حديث وإنْ كان بعضهم ضَعَّفه عن النبي صلى الله عليه وسلم، اللي قال إنّ الراجفة النفخة الأولى، قال إنّ الرادفة النفخة الثانية..

واللي قال الراجفة ترجف الراجفة علشان آية "يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ" المزمل:14فقالوا طالما الرجف نُسِب إلى

الأرض في القرآن فمن تفسير القرآن بالقرآن إنّ الراجفة دي تبقى الأرض هتهتز من تحتهم، أيًّا كان الرجف فيه اهتزاز وصيحة عظيمة، كل الناس تموت "تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ" كل الناس تصحى.

هيمنة الله على كل شيء وخوف واضطراب القلوب يوم القيامة

إيه الهيمنة دي، قدرة مطلقة، أرواح تُنْزَع، وملائكة تسبح، وملائكة تتسابق، وملائكة تدبر، وأرض تهتز، ونفخة تُميت الناس، ثم نفخة أخرى تُحيي الناس مرة أخرى، يعني هيمنة وقدرة مطلقة من الله سبحانه وتعالى "تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ * قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ" في هذا اليوم الذي أنتم تعرضون عنه، "قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ" في هذا اليوم الذي تستهزئون به، في هذا اليوم الذي لا تفكرون فيه "قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ" النازعات:8 الوجف ده شدة الخوف والرعب، الوجف ده بيقولوا جت منين الكلمة دي في اللغة..

ربنا سبحانه وتعالى بيقول: "فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَاب" الفَيء الغنيمة لما تيجي من غير ما نتعب، فربنا قال في سورة الحشر "فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ" الحشر:6 أوجف على الخيل، لما واحد يركب على الخيل والإبل وعايز الخيل تجري بسرعة يضربها جامد، فالخيل قلبها يدق بسرعة وتضطرب من الضرب، فتجري بسرعة، و الإبل يحصلها كده تضطرب من شدة الضرب فتجرى بسرعة، فكذلك ربنا بيقول "قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ" النازعات:8 فيها اضطراب وفيها إسراع ومش عارف يروح فين وقلبه مضطرب وجسده كله مضطرب، ده الوجف فربنا بيقول القلب واجف خايف مضطرب مش عارف يروح فين "قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ * أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ" النازعات:8،9.

رفض الخشية في الدنيا ولكنه مجبر عليها في الآخرة

العجيب هنا إنّ ربنا بيقول.. ماقالش أبصارهم قال أبصارها يعني أبصار القلوب، يعني الجسد كله خاشع، لما القلب يبقى مضطرب الجسد كله يبقى مضطرب، فربنا بيقولك أبصار القلوب خاشعة يعني الجسد كله خاشع، مش عارف يفكر، آلآن تخشع؟ ما ربنا هنا في السورة بيقوله "وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى" النازعات:19 رفض، بيقول لقريش " إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى" النازعات:26 رفض، فربنا بيقولُه في الآخر "إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا" النازعات:45 فهنا ربنا بيقول ساعتها بقى اللي رفض كل ثلاث مراحل الخشية دي، عندنا ثلاث مراحل الخشية" وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى"،"إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى"،"إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا"، فربنا قال بقى اللي رفض كل دول "أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ" النازعات:9.

تصوير القرآن الدقيق لحال الكفار واستهزائهم بآيات البعث

خلص مشهد البعث فجأة رجوع للدنيا، الصور مشاهد: مشهد الموت، مشهد الراجفة، مشهد الرادفة، وبعدين انتهت المشاهد ورجعنا تاني للدنيا، الكفار قاعدين مع بعض في مجلس تاني شبه المجلس بتاع سورة النبأ اللي كانوا بيستهزِئوا بيه، مشهد تاني "يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ" النازعات:10 "يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ" دا بيقولوه في

الدنيا هُمَّا قاعدين مع بعض كده ربنا بيجيبلك مشهد بعد ماخَوّفهم رَجَّعهم تاني، دايمًا القرآن يجيب مشهد في الدنيا وبعدين ياخد اللي قاعدين في الدنيا هُمَّا هُمَّاهُمْ ويوديهم الآخرة، ويتكلم عن الآخرة بصيغة الماضي وبعد مايخوفهم يرجعهم تاني الدنيا ويُقَلّهم ها؟ هتتوبوا ولا لا؟ ففعلًا يعني كلام معجز، كلام ربنا سبحانه وتعالى.

فربنا بيقول الكفار قاعدين مع بعض في الدنيا بصيغة المضارع لأنهم هُمَّا كرروا الكلام ده ودي دايمًا الهجمات الإعلامية الشرسة إنّ يجيبوا معنى واحد ويكرروه كتير، فالمعنى اللي كانوا بيكرروه بصيغة المضارع "يقولون" سؤال استنكاري "يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ" الحافرة يعني هنعود مرة أخرى إلى الأرض؟ هنعود مرة أخرى؟ كإن بعد ماهننزل تحت الأرض هنعود إلى الحالة الأولى التي كنا عليها؟ الحافرة يعني الحالة الأولى التي كنا عليها، يعني معقول.. زي ماهُمَّا قالوا في الاستفهام اللي بعده "أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً" النازعات:11 خد بالك هنا زودوا كلمة، كانوا دايمًا يقولوا أئذا كنا عظامًا وترابًا، هنا قالوا أئذا.. قالوا عظامًا نخرة، يعني كأن القرآن بيصورلك هُمَّا بيعملوا إيه كأنهم جابوا عظم وقعدوا ينفخوا فيه علشان الهوا النخرة مجوفة أو مفتتة يجيبوا عظمة وينفخوا فيها كده ويفتتوها ويقولوا للناس اتفضلوا الرسول المبعث إليكم بيدَّعِي إن انتوا بعد ماتبقوا كده هترجعوا أحياء تاني.

التضليل الإعلامي والضغط على الناس لإنكار البعث

شوف الاستعمال الإعلامي لتضليل الناس ويكرروا المعنى ده "يَقُولُونَ" يعني كل شوية يطلع برنامج ويجيب شوية عظام ويجيبها نخرة كده قُدَّام الناس ويقول اتفضلوا هُمَّا عاوزين يقولوا تخيلوا العقلاء دول اللي بيدَّعوا إنهم على عقل بيقولوا إن إحنا هنرجع تاني أحياء بعد ما كُنَّا عظامًا، ومش بس عظامًا وعظامًا نخرة، ضغط على الناس عشان ينكروا البعث. دايمًا عندهم إشكالية مع قضية البعث "أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً" وبعدين لما يقولوا كده ويقعدوا يهزروا مع بعض فيقوم واحد يقول إيه "قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ" النازعات:12 بيتريق بيقول دا لو طلع الكلام دا بجد دا احنا هنخسر، عارف أسلوب التريقة اللي يقولك مش عارف لو دخلنا الجنة مش هنلاقي حد نعرفه، بيتكلم على الدار الآخرة باستهزاء، فَهُمَّا قاعدين مع بعض، بيقولوا ايه؟ معقول نرجع تاني؟ معقول بعد ماكنا عظام نرجع تاني؟ دا الكلام دا لو حصل دا احنا نروح في داهية، لإنّ هُمَّا مابيعملوش أي طاعة، دا الكلام دا لو حصل "قَالُوا تِلْكَ إِذًا" يعني لو الكلام دا حقيقي دا احنا هنخسر، وهو حقيقي لكن هُمَّا بيقولوه باستهزاء.

من اللطائف القرآنية الجميلة

وفي هنا لطيفة جميلة أوي لما جُمْ يضغطوا على الناس نفسيًا جت بصيغة "يقولون" تكرار "يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ" لما قالوا إنّ في احتمال حتى لو بالتريقة والاستهزاء احتمال إن الكلام دا يطلع صح ولو الكلام دا طلع صح يبقى احنا هنخسر جَات بصيغة الماضي "قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ" يبقى الإعلام عارف هو بيكرر ايه كويس وهو مابيكررش ايه، عارفين لما يحبوا يضحكوا على الناس ويوجهوا عقول الناس عارفين يكرروا ايه ومايكرروش ايه، لإنّ لو

كرروا كلمة إنّ لو في بعث إحنا هنخسر حتى لو بتريقة، طب ممكن واحد يفكر طب أنا ليه ماحطش الاحتمال ده، احتمال إنّ أنا ممكن أُبعث؟

فإذن دايمًا الهجمات الإعلامية تبقى عارفة هيَّ بتكرر ايه اللي بييجي بصيغة "يقولون" وايه اللي بييجي بصيغة "قالوا" اللي يتقال مرة واحدة "قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ" فربنا بيقول لهم الذي تستبعدونه اللي انتوا مستبعدين إنُّه يبقى عظام نخرة ويرجع هذا يحدث بزجرة واحدة، سبحان الله هذا يحدث بنفخة واحدة، الزجرة كانت بتزجر واحد بتزُقُّه بتقومه، دا بيحصل هيحصلكوا بزجرة واحدة، بنفخة واحدة، ليس الثانية ولا الثالثة "فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ" النازعات:13.

لماذا سُميت أرض المحشر بالساهرة؟

فإذا الفجائية هُمْ يعني هُمَّ هُمَّاهُمْ اللي كانوا نخرة فإذا هم هؤلاء المستنكرون بالساهرة اسم غريب أوي إنّ يتقال على أرض المحشر "الساهرة" قالوا ليه الساهرة؟ قالوا لإنّ الأرض دي ليس عليها نوم ومش بس ليس عليها نوم وبعضهم قالوا ليس فيها ملجأ، فقالوا إيه علاقة إنّ ليس فيها ملجأ تستخبا فيه "لاّ تَرَىَ فِيهَا عِوَجاً وَلا أَمْتاً" طه:107 إيه علاقة إنّ ليس فيها ملجأ حاجة تخبي النوم قالوا ما الإنسان دايمًا ميعرفش ينام في المكان المفتوح، يخاف، عايز حته ينام فيها، فبما إنّ هو مفيش مكان يلجأ له إذن مش هينام..

ومن لحظة البعث ديت النوم هينتهي خلاص حتى اللي هيدخل الجنة أو هيدخل النار مفيش نوم من ساعة اللحظة دي، خلاص بقت ساهرة، كله ماعادش ينام، انتهى النوم، إمَّا نعيم دائم فمش محتاج إنُّه ينام فالنوم هينغص عليه نعيمه، أو والعياذ بالله عذاب دائم فالنوم بالنسبة له هيريحه فهو ممنوع من النوم، وقُلنا في سورة النبأ أحد معاني "لّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلا شَرَابًا" النبأ:24 بعض العلماء قالوا البرد هو النوم، لإنُّه بيبرد عنهم قليلًا من العذاب، فهُم محرومون من النوم "فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ" النازعات:14.

من رحمة الله بعباده أنه يرسل لهم من ينذرهم

وبعد كده مشهد تاني، مشهد لمتكبر زي المتكبرين في قريش، زي أبو جهل رفض الطاعة ورفض الخضوع، فربنا سبحانه وتعالى بيُعَرِّض بقريش بيقُولُهم في نموذج رفض زيكم حَصَلُّه إيه؟ "هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى" ربنا بيقول للنبي صلى الله عليه وسلم: "هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى * إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى" النازعات:15،16 الله عز وجل ينادي عبدًا من عباده يا ترى ليه؟ تخليوا؟؟!!! عشان يذهب إلى طاغية ينصحه في الله، الله عز وجل من فوق سبع سماوات ينادي موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم "إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى" قالُّه إيه؟ قالُّه "اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ" الله أكبر، شوف رحمة ربنا حتى بالطغاة، الله عز وجل قبل أن يأخذ فرعون قبل أن ينتقم من فرعون بيقول لسيدنا موسى روحله كَلِّمه جايز يرجع "لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى" طه:44 روحله "فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا" الله عز وجل

ينادي بشرًا من البشر موسى عليه السلام كليم الله؛ عشان إيه؟ عشان يروح لطاغية "اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ" ليه يارب أروحله؟ "إِنَّهُ طَغَى"..

هنا في مَعْنَيين "اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى" النازعات:17 في مَعْنَيين: معنى الرحمة إنّ ربنا لا يريد أن يأخذ فرعون بغتة إلا لما يرسلُّه رسول، ومعنى "إِنَّهُ طَغَى" إنّ دا واجب الدعاة إنّ هُمَّا يوجهوا رسائل للطغاة، إنّ أي طاغية لازم يواجَه، لازم يتبعتله رسايل، لازم الرسالة توصلُّه، لازم.. لذلك سيد الشهداء حمزة رجل قام إلى سلطان جائر فنصحه، فقتله، لازم إنّ انت.. لازم الكلمة تصل للظالم "اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى" يبقى لازم يحدث إنُّه يبلغه هذه الكلمة كلمة الحق "اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى" طغى تجاوز الحد شاف نفسه أكبر من حجمه.

مع إنّ أول لحظة في السورة مشهد واحد بيموت، روحه، روحه بتتشال منه، ومش قادر يعمل حاجة، نفسه متفرقة في الجسد ومش قادر يجمعها، بتُنْزَع منه غصب عنه، لايملك حتى نفسه، لايملك حتى روحه، وبينازع في ايه ده؟ فده طغى فرأى نفسه أكبر من حجمه، طغى الماء: يعني الماء تجاوز الحد وبدأ يغطى، الدنيا كلها، فربنا بيقولُّه "اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ "روحله لغاية عنده، الدعوة لازم توصَلُّه لغاية عنده، ماتبقاش من بعيد "اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ" "إنّ" التعليلية "إِنَّهُ طَغَى" كإن ربنا بيقولُّه روحله قبل أن آخده أخذ عزيزٍ منتقم، روحله جايز.. وقولُّه كَلِّمُه بلين، جايز يتوب،"إِنَّهُ طَغَى"..

المؤمن دومًا يبحث عمن يقربه إلى الله ويفرح بصحبته

وقولُّه.. ربنا كمان قال لسيدنا موسى تقولُّه إيه، يعني ماقالُّوش روحله "فَقُلْ" ربنا قالُّه تقولُّه بصيغة الاستفهام اللي تليّن قلبه "فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى * وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى" النازعات:18،19 "هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى" ماقالُّوش يا فرعون إنت لازم، وفيك، قالُّه بصيغة الاستفهام، كإنه بيقولُّه أنا هعرض عليك عرض، إيه العرض ده؟ العرض ده: " هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى * وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى".

المؤمن لما يسمع العرض ده يذوب شوقًا إنّ يلاقي حد يوصَّلُه لربنا، كل الناس، أهل الإيمان يعني نفسهم حد يوصَّلهم لربنا، نفسه حد يقولُّه كلمتين يقربوه من ربنا، تخيل كليم الله رايح لواحد بيقولُّه أنا جبتلك الفرصة دي لغاية عندك، أنا جيتلك لغاية عندك وهكلمك عن ربنا وهساعدك إنك توصل لربنا، ولذلك سيدنا موسى الكلام اللي قاله لفرعون سيدنا موسى هوَّ طبقه بنفسه لما ربنا قالُّه لما سأل موسى وهل في الأرض من هو أعلم منك؟ فقال موسى: "لا" فعتب الله عز وجل عليه أن لم يرد العلم إليه وقال بلى عبدي فلان هو أعلم منك في جزئية معينة فقال أي ربي وكيف لي به؟ طلاما واحد هيقربني منك أروحله يارب، وكيف لي به؟ قصة الخضر مع سيدنا موسى في سورة الكهف.

الخشية تأتي بعد التزكية

فهنا بيقولُّه "هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى" هنجد كلمة "تزكى" و "تخشى" الكلمتين دول هيتكرروا معانا إن شاء الله في سورة

عبس، في سورة عبس ربنا بيقولُّه: "وَأَمَّا مَن جَاءكَ يَسْعَى * وَهُوَ يَخْشَى * فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّى" عبس 10:8 ربنا بيقولُّه: "وَمَا عَلَيْكَ أَلاَّ يَزَّكَّى" عبس:7 النبي صلى الله عليه وسلم في أول سورة عبس مُنْشَغِل بناس عشان يتزكوا وبعد مايتزكى يخشى، فدايمًا الخشية بتيجي بعد التزكية، فربنا بيقول للنبي صلى الله عليه وسلم إنت مُنْشَغِل بناس رافضين التزكية اللي هي المرحلة الأولى، وفي واحد جايّلك هو أصلًا في المرحلة التانية "وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَى * وَهُوَ يَخْشَى" يبقى "وَمَا عَلَيْكَ أَلاَّ يَزَّكَّى" في ناس رافضة المرحلة الأولي اللي هي التزكية، وفي واحد جايّلك تجاوز المرحلة الأولى وفي مرحلة الخشية دلوقتي "وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَى وَهُوَ يَخْشَى" فكأن مرحلة التزكية هي المرحلة الأولى ومرحلة الخشية هي المرحلة الثانية.

زيادة الطغيان و زيادة التَّزَكِّي

طيب ايه العلاقة بين كلمة –شوف الإعجاز القرآني– العلاقة بين كلمة "طغى" وكلمة "تزكى" هنجد إنّ "طغى" فيها زيادة و "تزكى" الزكاة في اللغة فيها زيادة، لكن "طغى" زيادة تجاوزت الحد إنما الزكاة هي زيادة نماء مع طهارة، لذلك بيقولوا الزكاة الفلوس اللي إنت بتطلعها بتعمل حاجتين: بتخَرَّج المال الخبيث، بتطهر مالك، وفي نفس الوقت تباركلك في مالك فيزيد، إزاي؟ ظاهر المال إنُّه قَلّ لكن البركة زادت..

فالزكاة في اللغة ليها مَعْنَيين متلازمين: النماء حاجة بتنمو، الزيادة يعني النماء، والتنقية إنّ الحاجة تبقى طاهرة مُنَقَّاة فكأن بيقول لفرعون إنت بتبحث عن الزيادة؟ الزيادة بتاعتك دي زيادة طغيان، إنت بتطغى تجاوزت الحد، أنا ممكن أخلي نفسك اللي جواك دي أشْبِعْها حب زيادة ده لكن بالحاجة اللي ربنا يحبها، وتبقى نفسك عَمَّالة تزداد وتنمو لكن بالطريقة اللي ربنا بيحبها، هي دي "هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى" يبقى الزكاة فيها زيادة والطغيان زيادة، لكن الطغيان زيادة تجاوزت الحد، والزكاة النفس هنا هتزداد لكن مع طهارة، هتتنقى النفس هتنقيها من الخبائث.

النماء والفوز الحقيقي مقياسه القرب من الله

يبقى إذن "هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى" بيقولُّه أنا ربنا بعتني بآيات، تستطيع هذه الآيات إنّ هي تُطَهِّر النفس الخبيثة، وقُلْنا نركز على النفس في السورة، نزع النفس في أول السورة، تثبيت النفس في نص السورة، آخر السورة نهى النفس عن الهوى.

يبقى إذن من المعاني اللي بتعالجها السورة: قضية النفس، فبيقولُّه "هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى" يبقى قُلنا تاني الزكاة فيها مَعْنَيين: الزيادة والطهارة، فبيقولُّه إنت نفسك هتزداد وهتزداد قُرْبًا من الله "أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ" الإسراء:57 الملايكة بتتسابق أيهم أقرب، الصالحون بيتسابقون أيهم أقرب إلى الله، هو دا النماء الحقيقي، مش إنَّك إنت تفضل تطغى لغاية لما تقول أنا ربكم، لأ إنت تفضل تزداد لغاية لما تبقى أقرب إلى الله، لما تبقى أكثر خشوعًا إنت كده بقيت أعلى، كده إنت بتقترب من الفردوس.

لن تتزكى النفس إلا بالقرآن

"هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى" يبقى إذن "تزكى" فيها جزء من معاني "طغى" لكن منضبطة إنّ هيَّ بتتطهر، يبقى إذن النفس كل نفس فيها مشاكل، أيّ نفس بشرية "وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا" الشمس10:7 يبقى إذن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا" صحيح مسلم هذه النفس لن تتزكى إلا بآيات من الله، سيدنا موسى معاه آية، رايح لفرعون يزكيه بهذه الآية، يتلو عليهم النبي صلى الله عليه وسلم "يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ" الجمعة:2 إذن النفس بتاعتنا لن تتزكى يعني لن تتخلص من الخبائث وتنمو وتقترب من الله المعنيين دول مش هيحصلوا إلا بالقرآن، يبقى إنت بتبحث عن التزكية والتزكية معنيين: عايز تتخلص من المشاكل اللي في نفسك، وعايز نفسك تترقى في الوصل إلى الله، لن يحدث إلا من عند الله، لأن الله هو اللي خلق النفس وهو يعلم كيف تترقى هذه النفس.

تدبر آيات القرآن يؤدي إلى الخشية

"هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ" المعرفة الحقيقية لله تؤدي إلى الخشية "لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ" اللي بيعرفكوا ربنا "هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ" الجبل "خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا" من إيه؟ من الانبهار اللغوي بالقرآن؟ ولّا من الانبهار الفكري بالقرآن؟ أبدًا "خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ" الحشر:21 يبقى التأثير الحقيقي لآيات الله هو الخشية، يبقى اللي يقرأ القرآن ومايزددتش خشية يبقى ما استفدش، ما استفدش الاستفادة الحقيقة من القرآن، التقييم الحقيقي للاستفادة من آيات الله هي زيادة الخشية، فهو بيقول لفرعون إنّ رقم واحد هيحصل تزكية نفسك الخبيثة المستأسدة عليك الطاغية دي محتاجة تتهذب شوية، وبعد ما تتهذب أطرح عليك آيات ربنا بعد مانخلي وننقي النفس نخلي بقى النفس، نحط بقى فيها الحاجات الجميلة فتخشى الله عز وجل "وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى".

العلاقة بين الآية الكبرى والطامة الكبرى

وماسابوش كده ومباشرةً "فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى" النازعات:20 هنا ربنا مقلش إيه الآية الكبرى، كان جمهور المفسرين على إنها العصم، أيًّا كان جه هنا كلمة "الْآيَةَ الْكُبْرَى" خد بالك من الآية الكبرى ومن الطامة الكبرى اللي هتيجي معانا "فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى" النازعات:34 وإيه العلاقة؟ الآية الكبرى التي لا آية بعدها، بمعنى الآية الكبرى التي تغطي على عقل الإنسان، وتضغط عليه تخليه لا محالة يؤمن أو يجحد، مش مايقتنعش إحنا دايمًا بنكرر المعنى ده إنّ آيات القرآن تضغط نفسيًا على الإنسان، لو استمع ليها وأنصت ليها وتدبرها وحاول يفهمها بتضغط عليه نفسيًا، إما أن يؤمن وإما أن يجحد، يجحد يعني يبقى عارف إنه حق بس يرفض، وبما إن الإنسان في الدنيا مُخَيَّر إنُّه يختار طريق الإيمان أو طريق الكفر، فالآية الكبرى هنا لما اتعرضت عليه كان هو مخير يا يقبلها يا يجحدها، يعني يبقى عارف إنّ هي الحق فيرفضها..

إنما الطامة الكبرى يعني الطامة التي لا طامة فوقها، هتغطي على عقله كما غطت الآية على عقله، الآية الكبرى الآية اللي هتغطي على عقله هتخليه يوقن إن الآية دي من عند الله، دي الآية الكبرى، والآية الكبرى بتاعتنا هي القرآن

اللي لو الإنسان تدبرها يوقن إنها من عند الله، ثم إما أن يؤمن وإما أن يجحد والعياذ بالله.

الطامة الكبرى تغطي على عقله أيضًا لكن لن يستطيع أن يفر منها، لإنّ خلاص التخيير هنا رُفِع ويُقاد والعياذ بالله إما إلى النار أو برحمة الله عز وجل يذهب إلي الجنة.

رغم وضوح الحق لم يعطِ لنفسه فرصة للتَّفَكُّر

"فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى" رد فعل فرعون إيه؟ واحد بيقولُه بأسلوب "هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى" وفرصة الهداية إلي الله، فرصة الخشية، وشاف الآية الكبرى، عمل إيه؟ خُد بالك من "ف" دي "فَكَذَّبَ وَعَصَى * ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى" النازعات:21،22

"ف" دي يعني مدَّاش لنفسه فرصة يفكر، مقعدش يقول دا أنا بشر، دا أنا معنديش حاجة أملكها، أنا عارف حقيقة نفسي، لأ مداش لنفسه فرصة يفكر، مداش لنفسه فرصة يتدبر إذا العصا دي انقلبت حيَّة وهو عارف إنه مش سحر، والسَّحَرَة قالوا له دا مش سحر، السحرة نفسهم قالوا له دا مش سحر، لكن هو مداش لنفسه فرصة يفكر..

"فَكَذَّبَ وَعَصَى" ثم ما اكتفاش بالتكذيب، عصى يعني بدأ يقاوم ويعارض، يعني مش مثلًا كَذّب بالآيات وخلاص، بقى كافر وخلاص، لأ والعياذ بالله لا دا بقى كمان بيحارب دين الله عز وجل "فَكَذَّبَ وَعَصَى".

"ثم" ثم دي بيسموها ترخي رتبي يعني بدأ يزداد في المعصية والطغيان، يعني "كَذَّبَ" دي مرحلة كفر، العصيان هنا يعني بدأ يقاومك كفر أعلى، "أَدْبَرَ يَسْعَى" بدأ كفر أعلى بقى، يعني مراحل.. دي دركات الكفر والعياذ بالله.

وقفات مع كلمة "أدبر"

"أَدْبَرَ يَسْعَى" بدأ يفكر يعمل إيه، وكلمة أدبر دايمًا اللي بيولى مدبرًا في الحرب أدبر يعني انطلق بدون تفكير، وكأنها عكس كلمة دبر، دبر يعني قعد يفكر ويخطط، أدبر لأ.. بعض العلماء قالوا إن الألف دي كأنها اسمها ألف الإزالة أي إزالة التفكير، يعني واحد قاعد يجري لا يعلم لا يعرف أين يذهب، بيجري وخلاص، أدبر..

واللطيف أوي كلمة "يسعى" دي ماقالش أدبر يمشي، ولا قال أدبر يجري، مع إنّ اللي بيهرب من المعركة أدبر بيجي معاه يجري أو يمشي..

كأن فرعون ملهوف، وخاف على ملكه إنُّه يضيع لما جات رسالة سيدنا موسى وشاف الآية الكبرى، والناس بدأت قربت تقتنع، خاف على الملك بتاعه، خاف على الملك اللي قعد سنين يبنيه، فعايز يجري يلحق يتصرف، وفي نفس الوقت عايز يحافظ على شكله، لإنُّه لو جرى هيبقى خايف، فجت كلمة "يَسْعَى" اللي هي وسط بين المشي اللي فيه طمأنينه وهو مش مطمئن، وبين الجري اللي بيدل إنُّه هو خايف وهو عايز يحافظ على المنظر بتاعه.

لأنه ليس مُلْكًا ذاتيًا فهو بحاجة دومًا لأعوان وجنود

"ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى" وبعدين عمل ايه؟ هو خاف إنّ الجنود يروحوا منه "فَحَشَرَ فَنَادَى" الحشر دا الجمع مع ضغط، يعني يكركب الناس، وكلمة حشر يعني كإنُّه جاب آخره، جاب كل الجنود، وجاب كل الناس، و كل اللي يقدر عليه "فَحَشَرَ فَنَادَى" وعلًا صوته بصوت عالي "أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى" طَب هو عمل كده ليه؟ يعني إيه علاقة إنُّه يقول "هَل

لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى" بإنُّه يجمع الناس ويقول: "أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى"؟ البشر ضعفاء، أيّ مَلك من البشر علشان يحافظ على مُلكه الْمُلك بتاعه مش مُلك ذاتي..

يعني إيه مش مُلك ذاتي؟ يعني فرعون ماعندهوش قدرة خارقة إنه يُخْضِع الناس، لأ فرعون بيُخضع الناس بأدوات إما إنُّه بيضحك عليهم بأدوات بإسلوب خطاب مشاعري، مثلًا يضحك عليهم أنا خايف عليكم، "أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ" غافر:26 ياقوم بيكلمهم بأسلوب عاطفي، بيضحك عليهم، أو بالسحر، لذلك النبي صلى الله عليه وسلم بيقول: "كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر.." صحيح مسلم.
دايمًا الملوك اللي في البشر علشان يحافظ على مُلْكُه لازم أدوات تحافظ على مُلكه، هو معندوش قدرة خارقة ذاتية، لذلك بعض الإسرائيليات حاولت تستغرب هو ليه فرعون قال "أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى" والناس صدقوه، فبعضهم قال كان فرعون لا يدخل الخلاء، ماكنش بيقضي حاجته، وكان فرعون لا يخرج منه ريح، أي حاجة هما حاسين إنّ أكيد في حاجة مش طبيعية لكن أبدًا الكلام دا مش حقيقي..

هو كان بيستعمل أدوات، كان بيستعمل إعلام، كان بيستعمل السحر، كان بيستعمل الاقتصاد قارون، كان بيستعمل القوى العسكرية هارون، وزير عسكري، بيستعمل أدوات، لذلك الملك دايمًا يخاف من الأدوات دي تروح منه، يخاف من الانشقاقات، يخاف من انقلابات تحصل عليه، فأول لَمَّا حصل عن الرسالة جات بتاعت سيدنا موسى، جمع الناس بسرعة لحسن حد يضيع منه، حشرهم كلهم، والحشر ده فيه كركبهم على بعض، جمعهم كلهم وأكّد عليهم وقالّهم خدوا بالكم "أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى" اوعوا تسمعوا، خاف أي حاجة تفلت منه، لكن مُلك الله عز وجل، الله عز وجل هو الْمَلك سبحانه وتعالى، لا يحتاج إلى أحد.

ملك الملوك لا يحتاج إلى أحد وكلنا نحتاج إليه

لذلك فرعون لو مامعهوش جنود مش هيبقى مَلِك، يعني لو الجنود اللي حوالين فرعون سابوه ماعدش هيبقى مَلِك خلاص، لو انقلبوا عليه ماعدش هيبقى مَلِك، لذلك الله عزوجل الملك الحق سبحانه وتعالى هو الملك، لذلك إحنا بنقول "مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ" الفاتحة:4 لأنه هو الملك الحق والمُلك بيظهر واضح يوم الدين، علشان الفرق دا شوف بقى قدرة ربنا يأتي لحظة لازم تيجي اللحظة دي، زي ماكانت موجودة قبل كده على إحدى تفسيرات الحديث، كان الله ولم يكن معه شيء، تيجي لحظة الله عزوجل يُميتُ كل الخلائق، كل الخلق يموتوا ولا يبقى أحد، ثم يقول: "لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ" ثم يقول سبحانه وتعالى: "لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ" غافر:16 اللحظة دي تيجي إنّ مفيش حد مع ربنا، علشان الملك الحقيقي يظهر أن الله لا يحتاج إلى أحد، الكل يحتاج إلى الله، الله هو الحي القيوم..

هو يقيم الناس، هو يقيم الملائكة، هو يقيم السموات والأرض، لا يحتاج إلي أحد سبحانه وتعالى، هتيجي اللحظة دي الله عز وجل لا يحتاج إلى أحد حتى الملائكة اللي بتدبر الأمر هي تحتاج إلى الله، هي تحتاج إلى الله.

"إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا" الأنفال:12 قبل ما ربنا يقول للملايكة الأمر يقولهم أنا معاكم، كأن الملايكة لا تستطيع أن تدبر ولا تتحرك إلا بتوفيق من الله عز وجل، إنما البشر محتاج أدوات يتحرك بيها لو راحت منه يضيع.

من يتكبر وينازع الله في ألوهيته وكِبْره يُدْخِلْه النار

ففرعون خاف على ملكه فجمع فحشر الجنود بتوعه فحشر ونادى بأعلى صوته "أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى" هذه الكلمة الخبيثة اللي خرجت منه وكانت سبب إنّ ربنا ياخده "أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى" المتكبرين والعياذ بالله استمتاعهم في الدنيا إنّ الناس تعبدهم، ينازع الله في ربوبيته، ينازع الله في حاكميته وألوهيته.

"قال الله عز وجل: الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا قذفته في النَّارَ" حسنه الألباني. استمتاع المتكبرين إنُّه يُعْبَد، لذلك إبليس والعياذ بالله يضع عرشه على الماء والعياذ بالله عايز كإنُّه يضاهي عرش الله ويبعث ثرايا، ولما تيجي الشمس تطلع يروح جاي إبليس يحط القرنين بتوعه عند طلوع الشمس أحد توجيهات حديث "تغرب الشمس بين قرني شيطان" حسنه الألباني.

ففي كراهة هنا في الصلاة في الوقت دا، بعض الناس يسجد للشمس في هذا الوقت، فيقوم الشيطان علشان يحس بنشوة الانتصار وإنّ الناس دي بتسجد ليه يروح يحط نفسه جنب الشمس، علشان يشعر وكأن الناس بتسجد له، عنده نقص الكِبْر اللي جواه دا دايمًا بيعوضه بإنُّه عايز يطغى على الناس، لذلك أحد معاني قول الله عز وجل لما الله عز وجل لما الله عز وجل ينادي معشر الجن "يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الإِنسِ" والإنس يقولوا "رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ" الأنعام:128، استمتاع الجن بالإنس، الجن بيستمتع إزاي؟ طَب الإنس كنا ذكرنا دا في تفسير سورة الأنعام، الإنس بيستمتع إنّ الجن بيجيبله شهوات، والجن بيستمتع إنُّه متكبر، والإنس يطيعوه "فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى * فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى" النازعات24:26.

نكمل بإذن الله عز وجل تفسير هذه الآية في الحلقة القادمة، وجزاكم الله خيرًا، سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

تم بحمد الله

شاهدوا الدرس للنشر على النت في قسم تفريغ الدروس في منتديات الطريق إلى الله وتفضلوا هنا:

http://forums.way2allah.com/forumdisplay.php?f=36